

منهج الجاحظ في نقد النصرانية من خلال كتابه

"رسالة في الرد على النصارى"

Al-Jahiz's Method in Criticizing Christianity Through His Book
"Treatise in Response to the Christians"بومسعود سحنون¹، جبدل عمار²¹ جامعة بن يوسف بن خدة - الجزائر 01 - (الجزائر)، benmessaoud@univ-alger.dz

مخبر مناهج البحث في العلوم الإسلامية

² جامعة بن يوسف بن خدة - الجزائر 01 - (الجزائر)، a.djidel@univ-alger.dz

تاريخ الاستلام: 2025/07/20 تاريخ القبول: 2026/12/31 تاريخ النشر: 2025/12/31

Abstract:

The Mu'tazilite school represents one of the most influential theological traditions within Islamic thought, renowned for its rational defense of Islamic creed. Among its leading figures, Abu'Uthman 'Amr ibn Baḥr al-Jahizad dresses pivotal challenges posed by Christian interlocutors. In his treatise *Risalah fi al-Radd 'ala al-Nasara*, al-Jahiz employs a methodical, rational, and logical framework to critique Christian doctrines and scrutinize the authenticity of Christian scriptures. This study highlights: (1) the significance of Mu'tazilite contributions, particularly al-Jahiz's, to religious critique; (2) the central role of reason and logic in his analysis; and (3) his extensive familiarity with both Islamic and Christian traditions.

Key words: al-Jahiz, Christianity, Mu'tazilism, polemics, critique, methodology.

المخلص:

تعد مدرسة المعتزلة من أهم المدارس الكلامية الإسلامية التي تصدت للدفاع عن العقيدة، ومن أهم أعلام هذه المدرسة أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الذي تصدى لأمرين أساسيين في رد على الشبهات التي أثارها بعض النصارى بأسئلة وجهوها لبعض المسلمين فاستثمر الجاحظ السياق لنقد عقائد النصرانية من جهة ومناقشة مسألة توثيق النصوص المقدسة التي أثار نقاظا هامة في تنفيذ مصداقيتها و ذلك بمنهج علمي قائم على أسس عقلية ومنطقية دقيقة، وقد خلص بعد هذا كله إلى جملة من النتائج أهمها: (1) أهمية مدرسة المعتزلة عموما و جهود الجاحظ خصوصا في مجال نقد الأديان. (2) بروز العقل والمنطق كأداة فعالة في مجال نقد الأديان في رسالة الجاحظ محل الدراسة. (3) سعة اطلاع الجاحظ على التراث الدين الإسلامي والنصراني مما أتاح له استعمال أدوات علمية قوية في مجال نقد النصرانية. **كلمات مفتاحية:** الجاحظ، نصرانية، شبهات، نقد، منهج.

المؤلف المرسِل: بومسعود سحنون، الإيميل: benmessaoud@univ-alger.dz

1. مقدمة :

كانت دراسة الأديان وتناولها بالنقد من أهم المجالات المعرفية التي اشتغل بها علماء المسلمين، ومرد ذلك إلى ما يأتي:

- توجيه القرآن الكريم المسلمين إلى وجوب العناية بالدعوة إلى الإسلام والتي هي أحسن بسلوك خطاب دعوي راشد قائم على قوله تعالى.
- المواجهة العقيدة الفكرية التي خاضها علماء المسلمين دفاعا عن العقيدة الإسلامية ورد الشبهات المثارة حولها منذ فجر الإسلام كانت بدايتها وفد الحبشة الذي قدم إلى مكة لمناقشة النبي صلى الله عليه وسلم، ووفد نجران إلى المدينة في عصره عليه الصلاة والسلام لنفس الغرض.

حمل عبء هذه المهمة في حقب التاريخ الإسلامي خاصة العهد الأموي والعباسي المتكلمون على رأسهم المعتزلة، الذين تصدوا لمواجهة شبهات أهل الكتاب، ثم مرحلة الرد إلى النقد لما عند أهل الكتاب، خاصة النصارى منهم، كما كانت لهم ردود على أهل الأديان الأخرى مثل السمنية والثنوية.

عرفت مدرسة المعتزلة بمنهج قائم بذاته له أصوله المتميزة وأساسه المعرفية وقواعده المنهجية. وكان من رواد مدرسة المعتزلة الجاحظ الذي أسهم بشكل كبير في هذا الميدان ويظهر هذا جليا في كتبه، وعلى رأسها رسالته المعنونة "رسالة في الرد على النصارى" التي كان موضوعها ردود على أسئلة وجهها بعض النصارى للمسلمين تتناول التشكيك في العقيدة الإسلامية والقرآن الكريم.

مشكلة الدراسة:

إن الصراع العقدي الذي احتدم بين أتباع الديانات بعد الفتوحات الإسلامية، خاصة بين أهل الكتاب، خصوصا النصارى منهم وبين المسلمين، والذي كان نتيجة إتاحة ممارسة الحريات الدينية و الفكرية لجمع رعايا الدولة الإسلامية، كان له أثره البالغ على المجتمع الإسلامية بكافة أطيافه و نخبه، خاصة النخبة المثقفة و التي يطلق عليها مصطلح

المتكلمين "والتي كانت مدارس مختلفة، كالمعتزلة والأشاعرة، والماتريدية، ناهيك عن متكلمي الطوائف الأخرى، وقد كان من أولهم حضوراً في هذا الميدان، متكلموا المعتزلة، فقد كانوا من أوائل من خاضوا معترك هذا الميدان، ومن أبرز شخصياتهم أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الذي أسس لمنهج قائم بذاته في مجال نقد الأديان الذي نجد بعض معالمه متناثرة في مؤلفاته، كما أنه كانت له مؤلفات مفردة لهذا المجال، ونجد على رأس هذه المؤلفات رسالته الشهيرة باسم "رسالة في الرد على النصارى" التي هي رغم صغر حجمها تمثل قطعة نادرة في مجال الدراسات الدينية النقدية و المقارنة التي يرى بعض الباحثين أنه اعتمد فيها الجاحظ منهجاً متميزاً ومتكاملاً في نقد الأديان سار عليه الجاحظ كان ضرورة دفع إليها هذا الدافع الديني و الواقع الثقافي والصراع المعرفي وفوق هذا كله نجد الدافع القرآني في دعوته للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و هو من أهم أركان العقيدة عند المعتزلة التي ينطلقون منها في فهمهم للدين و للوجود ككل و ذلك عن طريق الجدل بالتي هي أحسن .

وسوف نحاول في هذا البحث دراسة منهج الجاحظ في هذه الرسالة وذلك بالإجابة على السؤال المحوري التالي: ما هو المنهج الذي سلكه الجاحظ في نقد النصرانية في رسالته "الرد على النصارى"؟

أهمية الدراسة:

تكتسي هذه الدراسة أهمية كبيرة على أصعدة كثيرة، فهي من الناحية الدينية تعتبر واجباً دينياً على كل مكلف لديه القدرة على التبليغ للرسالة الإسلامية، معرفة المنهج باعتباره الهيكل المعرفي الذي يقوم عليه واجب التبليغ هو من قيل ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، لذلك فالإدراك الجيد للمنهج الذي قام عليه التراث الديني في ميدان نقد الأديان يعتبر أولوية لكل من يريد دراسة هذا الميدان، خاصة أن القرآن الكريم حافل بالآيات التي فيها مناقشة لعقائد غير المسلمين، خصوصاً النصارى كما يسميهم القرآن وكما سماهم الجاحظ. أما من حيث الجانب المعرفي والعلمي فإن هذه الدراسة تدرس ديناً له امتداده في العالم وهو النصرانية، وتبرز هذه الأهمية في محاولة الوصول للحقائق الدينية لهذه العقيدة

منهج الجاحظ في نقد النصرانية من خلال كتابه "رسالة في الرد على النصارى"

عن طريق دراسة أصالة الكتب المقدسة عند معتققيها بواسطة أدوات المعرفة الإنسانية كالتاريخ وعلوم اللغة والمنطق.

2. الجاحظ ورسالته في الرد على النصارى

1.2 الجاحظ وعصره:

هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (الزبيدي، 2020، ص162) الكنانى (الرومى، 1993 ص2101) من الطبقة السابعة من المعتزلة (الزبيدي، 2022، ص162)، كان مولده سنة خمسين ومائة وكانت وفاته سنة خمس وخمسين ومائتين، عن أكثر من تسعين سنة (الرومى، 1993، ص2101). روى عن أبي يوسف القاضي وثامة بن أشرس (الذهبي، سير أعلام النبلاء، المكتبة التوفيقية، ج10م، ص11)، هو من أهل البصرة، رأس في المعتزلة عرف بتبحره في كثير من العلوم (عوض، مكتبة زهراء الشرق، ص05)، أخذ الكلام عن إبراهيم النظام (ياقوت الحموي، 1993، ص2101).

نشأ الجاحظ في بيئة علمية، فقد كانت البصرة موطنًا للعلماء، كانت فيها مدرسة نحوية قائمة بأركانها على غرار مدينة الكوفة، كانت الدراسة فيها تبدأ منذ الصغر بحفظ القرآن الكريم للأطفال ودراسة مبادئ علوم اللغة نحوًا وصرفًا، وتعلم الحساب والمغازي وأيام العرب، وأخبار أبطالهم وأخبار السلف، ثم بعد ذلك يأخذ الطالب في التزود بعلوم الحديث والفقه، ثم يدرج بعد ذلك إلى علوم الأنساب واللغة والمنطق والفلسفة (السندوبي، 1931، ص26).

كانت فضاء ذا ثراء معرفي واسع يخدمه نظام تعليمي يبني عند الطالب قاعدة علمية ثرية واسعة متعددة المجالات تمنح الطالب القدرة على التحليل والفهم وإصدار الأحكام في شتى القضايا العلمية التي يمكن أن ترد عليه، وهذا ما نلمسه جليًا عند الجاحظ خاصة في رسالته التي هي محل دراستنا والتي أظهر فيها معرفة واسعة بعلوم القرآن والمنطق والتاريخ التي وظفها في ثنايا رسالته.

لم يكن الجاحظ نشازًا في هذه البيئة، فقد أخذ العلم عن أساتذته بزوا أقرانهم في البصرة في علوم شتى من شاكلة أبي عبيدة معمر بن المثنى الثقفي، والأصمعي، وأبي زيد

الأنصاري، والأخفش (السندوبي، 1931، ص 27-29). كما أخذ الكلام عن إمام المعتزلة في زمانه أبي إسحاق النظام، ويزيد بن هارون. أخذ عنه العلم خلق كثير، منهم المبرد صاحب الكامل، وأبو داود السجستاني المحدث.

2.2 نظرية المعرفة عند الجاحظ

بنى الجاحظ منهجه المعرفي على نسق العنبري الذي قال بأن الإنسان مكلف بالاجتهاد في تحصيل الدليل في أصول الدين وفروعه وقد نسب له الغزالي القول بأن كل مجتهد في الأصول مصيب، وأن الحق فيها ليس متعيناً، وخالف الجاحظ في حصر الحق في واحد غير أن المخطئ معذور غير آثم، على غرار الفروع (الغانمي، 2021، ص 271). كان الجاحظ صاحب نظر دقيق عميق في دراسة الأقوال في مفهوم نظرية المعرفة، ودراسة مختلف مشاربهم فيها ويظهر هذا جلياً في بيان أقسامهم فيها، فمنهم من جعلها فعل الفاعلين مستثنياً من ذلك تلك التي سبقت بغير سبب منهم ولم تستلزمها علة من أفعالهم، ولم يكن المستند فيها إلى وحي أو شرع وما لا تعرف حقائقه إلا بالتفكر والمناظرة من غير إدراك من الحواس الخمس، فذهبوا إلى أن ذلك أجمع فعلهم على الأسباب المرجية والعلل المتقدمة (الجاحظ، 1979، ص 23).

ذهب فريق آخر إلى أن درك الحواس أصل المعارف، وهو المستشهد على الغائب ولا تكون المعارف صحيحة بدون صحته كما أنها تفسد بفساده، ودليل ذلك أن الإنسان مثلاً لو لم يفتح بصره لم يكن مدركاً (الجاحظ، 1979، ص 24)، وأما ما اختاره الجاحظ لنفسه في هذه المسألة من رأي هو تقسيم المعرفة الحسية إلى قسمين:

- معرفة قائمة على علة نظر متقدم أو حادثة ابتداء بغير علة موجبة وسبب متقدم.
 - معرفة حادثة على الابتداء بدون علة موجبة (الجاحظ، 1979، ص 25-26).
- ذهب الجاحظ إلى أن أساس المعرفة هي المؤهلات التي تجعل الإنسان مهياً لاكتسابها، وذلك يرجع لأسباب فيزيولوجية فلا يكون بغير صحة البنية ولا اعتدال المزاج، ووفرة الأسباب مخلى السرب، وعلم بكيفية الفعل، ولا حضور النوازع ومعارفة من الإنسان بما له أو عليه، مع توفر الاستطاعة لديه (الجاحظ، 1979، ص 34)

كما يرى الجاحظ أن المعرفة تكون بالاضطرار وليس بالاكْتساب، ودليله على ذلك أن الناظر في حال النبي يجب عليه أن يعرف أمارات صدقه ونبوته ليميز بين النبي الصادق ومدعي النبوة (الجاحظ، 1979، ص36). مما يستدعي معرفة أولية عند الإنسان. يرى الجاحظ أن الإنسان لا يمكنه التمييز بين الممكن ولا الممتنع إلا عندما تتوفر المؤهلات الذهنية التي تسعفه في تحقيق ذلك (الغانمي، 2021، ص273).

سار على هذا النهج بعده الناشئ الأكبر "و" بهاء الدين العاملي الذي حاول إحياء نظرية الجاحظ في المعرفة فصرح بأن المكلف حال بذله جهده في تحصيل الدليل مهما كانت نتيجة بحثه ونظره لا شيء عليه، ولا يخلد في النار على هذا المذهب وإن خالف الصواب (الوردي، 1413:1379هـ، ص74)، وهذا يعطي للجاحظ حضوراً أكبر في البحث المعرفي.

تكتسي هذه النظرية بالرغم من بساطتها الظاهرة أهمية كبرى لانسجامها مع آخر مخرجات البحوث النفسية، إذ أن كل مفكر صادق النظر حين اطلاعه على مختلف العقائد يحصل لديه إدراك جازم أن أربابها موقنون بصدقها صدقاً لا يحتمل الخطأ وهو حتى عندما يحاكم العقائد الأخرى إنما يستعمل القوالب البرهانية التي تأسست عليها عقيدته وهو في هذا كله إنما يكون متأثراً بمحيطه الاجتماعي الذي نشأ فيه على عقيدة هي في نظره لا تحتل البطان (الغانمي، 2021، ص ص273-274). ويجنح في مذهبه هذا إلى فكرة نسبية (الغانمي، 2021، ص274) القيم لقوله بفكرة المعرفة المتسامحة.

تتجلى لنا مما سبق أهمية إدراك النمط المعرفي لدى الجاحظ لأنه مصدر الأدوات المنهجية التي يبني عليها نقد العقائد، ويتجلى ذلك من خلال تحديد ماهية الدليل، ومصادره، وأنواعه، ودائرة استخدامه وطريقة توظيفه في نقد الأديان.

يظهر أن تحديد أسباب المعرفة وأنماطها عند الجاحظ له أثر في تكوين المعتقدات والحكم عليها، فذهابه إلى أن المعرفة لا تكون إلا اضطرارية يشير إلى القول بوجود قواعد عقلية تولد مع الإنسان تحاكم إليها القضايا المعرفية التي تتصل بوجود الإنسان على رأسها قضايا الدين، والإنسان مأمور بالنظر والتدبر على المسلك الذي يسوق إليه النص القرآني

في كثير من مواضعه ليرياً بالإنسان عن حمأة التقليد المنموم، وهو ما ذهب عموم المتكلمين من المعتزلة وأهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية. يظهر ذلك جلياً في جعل النظر أول الواجبات على المكلف، وهذه دعوة إلى وجوب إعمال العقل فيما نعتقد وألا نسلم بعقيدة حتى ننظر فيها وهذا ما قام به الجاحظ في رسالته حين أعمل قواعد عقلية وفق منهج قائم على أسس معرفية قوية تجلت فيها علاقة المعرفة بالتعليل العقلي لعقائد الأديان ونقد الفاسد منها بمسلك قويم متماسك يتجلى فيه نصب الأدلة لنصرة ما يدعو إليه وإبطال دعاوى المشككين في عقائد الإسلام ببيان عوار ما ينصبون عليه عمدتهم في الاعتقاد.

3.2 مضمون رسالة في الرد على النصارى

تعتبر هذه الرسالة مما صنفه الجاحظ في نقد الأديان، تقع في خمسين صفحة ضمن مقدمة وتسعة فصول مقاس 14.5 سم على 21 سم، ضمن مجموعة ثلاث رسائل للجاحظ، تحقيق المستشرق يوشع فنكل نشرتها دار الوراق في بيروت عام 2019. في الفصلين الأول والثاني عرض المؤلف شبهات النصارى حول القرآن الكريم، كما تعرض لتفنيد الأسس التي قام عليها منهجهم في إثارة هذه الشبهات مع لفت الانتباه لمسألة مهمة وهي الإشارة لوجه الشبه بين دين الصابئة ودين النصارى في الكثير من الجوانب كما أشار إلى جمل من الانتقادات التي تثار في بعض القضايا اللاهوتية عند النصارى. في الفصل الثالث تعرض فيه المؤلف إلى استدلال النصارى على ألوهية المسيح بمعجزات أشار إليها القرآن مثل كلامه في المهد، وقد استعمل في الرد على هذه الدعوى الأدلة العقلية والتراث اليهودي الذي يرد فيه اليهود على النصارى. في الفصل الرابع نقض الكاتب شبهة أخرى من شبه النصارى وهي استدلالهم على جواز نبوة المسيح عليه السلام لله عز وجل من القرآن قياساً على اتخاذ الله عز وجل إبراهيم عليه السلام خليلاً وفق ما نص عليه القرآن الكريم، وقد استدلل على ما ذهب إليه بنصوص من القرآن ببيان معانيها مستعملاً في ذلك دلالة اللغة مستعيناً بالشعر وكلام العرب. في الفصل الخامس والسادس واصل الجاحظ نقض شبهاتهم ليأتي في هذا الفصل على نقض شبهة الميلاد المعجز للمسيح عليه السلام من غير أب التي حاولوا الاستدلال

منهج الجاحظ في نقد النصرانية من خلال كتابه "رسالة في الرد على النصارى"

بها على ألوهيته وهنا ذهب لإلزامهم بالقول بألوهية آدم عليه السلام جريا على نسق استدلالهم لكونه من غير أب ولا أم، وأن الله شرفه بسجود الملائكة له تكريما وكون السماوات بيته ولكرم تربيته وهو ما لم يكن للمسيح عليه السلام.

في الفصل السابع تعرض الجاحظ لنقض ما يدعيه النصارى من أن المسلمين ينسبون إليهم في دينهم ما لا ينسبه النصارى لأنفسهم.

كانت هذه الدراسة اعتمادا على طبعة دار الوراق لهذه الرسالة، والتي كانت بتحقيق المستشرق يوشع فنكل والتي صدرت ضمن مجموعة ثلاث رسائل، اعتمد فيه المحقق على نسخة من مكتبة الأزهر وأخرى من مكتبة أحمد تيمور باشا ضمن مجموعة رسائل الجاحظ التي اختارها عبيد الله بن حسان، وقد علق المحقق على النصين بأنهما منقولان من نسخة واحدة لكون الكاتب واحدا وكذلك لتشابه التحريف الواقع فيهما. وقد أخرج المحقق الرسالة في شكل جيد مضبوط النص خال من الأخطاء المطبعية والإملائية.

3. منهج الجاحظ في دفع شبهات النصارى

1.3 الإشكاليات المثارة في الرسالة:

أول ما عرض له المؤلف في رسالته هو بيان الإشكاليات التي أثارها بعض النصارى على المسلمين في بعض البلاد على غرار ما كان يحدث في تلك العصور بين المسلمين وأصحاب الملل الأخرى التي يمكن أن نصوغها في النقاط الأساسية التالية:

- ادعاء بطلان القرآن وكنبه بنسبته للنصارى ما لم يقولوه من إثبات الألوهية لمريم

عليها السلام وكذلك نسبته لليهود القول بألوهية عزيز.

- تكذيب القرآن في قوله على لسان فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا

لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (القرآن الكريم، سورة غافر، الآية 36).

استعمل المؤلف في رسالته هذه ما دعت الحاجة إليه من الأدلة تقنيديا لإثبات ما ادعوه في شبهاتهم وقد نشر هذه الأدلة عبر فصول رسالته.

- تكذيب القرآن في قوله أن الله عز وجل لم يجعل ليحي بن زكريا عليهما السلام سميا

مع وجود من حمل هذا الاسم قبله في كتبهم.

- تكذيبهم للقرآن في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية 07). فقد ثبت عندهم فيما يدعون أن الله اتخذ نساء نبيات مثل مريم بنت عمران عليها السلام وحنة وسارة ورفقة.
- إنكارهم لمعجزة كلام المسيح عليه السلام في المهد بحجة عدم نقل ذلك في تراثهم الديني، بل وحتى تراث غيرهم، خاصة أن هذا يعتبر من أبلغ المعجزات التي يمكن أن يستشهدوا بها على صحة دينهم
- إدعائهم أن القرآن قال على اليهود والنصارى ما لم يقولوه عن أنفسهم، ولم يعتقدوه في دينهم.
- إدعائهم أن المسيح عليه السلام بخلقه من الطين كهيئة الطير يستحق مقام الألوهية إذ لا خالق غير الله عز وجل.
- اعتماد النصارى على منهج متهافت في نقد الإسلام كما يراه الجاحظ وهو الاعتماد على الروايات الضعيفة عند المسلمين والرجوع إلى المتشابه من آيات القرآن دون محكمه ثم هم بعد ذلك لا يجادلون العلماء بل يناظرون ضعفة المسلمين.

2.2. منهجه في نقض شبهات النصارى

أول ما لجأ إليه المؤلف في الفصل الثاني من رسالته هو بيان نوع العلاقات التي كانت بين المسلمين واليهود من جهة وبين المسلمين والنصارى مع تحليل أسباب استحكام العداوة بين المسلمين واليهود دون النصارى من جهة أخرى، وقد علل ذلك بأسباب اجتماعية تتلخص في المجاورة وقرب الديار بين المسلمين واليهود وما أورث من عداوة استوقدت نار حرب ذهبت بحبال الجوار وأحالت ذلك إلى بوار.

ويذهب الكاتب إلى أن النصارى لم يكن بينهم وبين المسلمين جليل عداوة لما كان بينهم من بعد الديار فلم يكن لهم في دين المسلمين طعن ولا للنيل منهم سبيل على ما كان ما لهم في قلوب المسلمين من مودة لما كان النصارى في بلاد الحبشة من إحسان لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هذا سبب من الأسباب التي صارت بها النصارى أحب إلى عوام المسلمين من غيرهم.

كما ألمح المؤلف إلى سبب آخر جعل النصارى يحتلون مكانة مرموقة في قلوب عوام المسلمين وهو غلط العوام في فهم آية من القرآن هي قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالنَّيِّنَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيَّيْنَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية 82). وقد فند الجاحظ الفهم الخاطئ لهذه الآية من العوام غفلة منهم عن السياق الذي تفهم فيه هذه الآية الكريمة، والذي يعتبر دليلاً على نقيض ما أثاروه، ولها كذلك سبب نزول يبين معنى هذه الآية على ما ذهب إليه الجاحظ وهي كذلك لا تشمل كل النصارى خاصة ممن أثاروا تلك الشبهات المذكورة التي رد عليها الجاحظ من الملكانية واليعقوبية و النساطرة لاتشملهم دلالة الآية قطعاً، وهنا لفظة يحسن التنبيه إليها وهي أن ذكر الجاحظ لأسماء هذه الفرق النصرانية دليل على معرفته بالفروق اللاهوتية بين هذه الفرق واستثمار هذه المعرفة في الجدل الديني أتى أكله في دحض مفترياتهم خاصة في باب الألوهية لذهابهم حسبما نسبته إليهم من أن الدين لا يؤخذ إلا بالتسليم فهو لا يخرج لا على القياس ولا يقوم على المسائل فهو غير معقول المعنى (الجاحظ 2019، ص39) وهذا ما لا يقبله عقل، وهنا لجأ إلى هذا النسق من الأدلة للضرورة العلمية التي دعت به إلى ذلك والمتمثلة في نقض استدلال النصارى لشبهاتهم بنصوص من القرآن الكريم دون أخرى وإغفال السياقات القرآنية التي وردت فيها تلك النصوص و عدم الرجوع للتفسير المعتمدة عند المسلمين لتلك النصوص وعدم جمعها مع نصوص أخرى من القرآن الكريم تتطرق إلى الموضوع ذاته و تنقض كل ما ادعوه من شبهات إغفالاً لقاعدة شرعية وعلمية وعقلية هي قاعدة الجمع بين النصوص التي تتعلق بموضوع واحد عند التعرض لبحثه، قال الزمخشري في تفسيره للآية أن النصارى قوم فيهم تواضع واستكانة كما أنهم ييكون عند استماع القرآن (الزمخشري، دون سنة، ص281) وهو ما لا يتصف به قطعاً من أثاروا هذه الشبهات ضد المسلمين .

2.3 منهجه في فهم معجزات المسيح:

تطرق الكاتب في الفصل الثالث للرد على شبهة عدم ورود معجزة المسيح بكلامه في المهد في كتب النصارى بالرغم من وجود الداعي عندهم لادعاء مثل هذه المعجزة، بل هي غير ثابتة في كتب سائر الأمم التي عاصرت ميلاد المسيح أو جاءت بعده وهنا يلزمهم المؤلف على أصلهم هذا لازما ينهدم به أصل ما نقلوه في كتبهم من معجزات المسيح عليه السلام على اعتبار تشابه المسألتين في العلة فيكون لازم ذلك أخذهما نفس الحكم باستعمال دليل عقلي يسميه الأصوليون القياس، وهو على ما ذهب إليه أبو الحسن البصري في تعريفه لقياس الطرد المناسب لهذا المقام " هو إثبات حكم الأصل في الفرع لاجتماعهما في علة الحكم " (البصري 1964، ص 1031)، فهم قد أثبتوا مبدأ أساسيا وهو رد دعوى القرآن بكلام المسيح عليه السلام في المهد لعدم ثبوت ذلك في كتبهم و كتب غيرهم فصح الاستدلال عليهم بهذا الأصل لنقض دعواهم لعدم ورود ما ادعوه من معجزات للمسيح عليه السلام في كتب غيرهم، أما قولهم أن ذلك غير ثابت في كتبهم فينتقض بكون هذه الكتب غير ثابتة النسبة لأصحابها مع كونهم من غير المعصومين فالنصارى قبلوا دينهم عن أربعة أنفس إثنان من الحواريين وإثنان من المستجيبة و هم في مجموعهم الغلط وتعتمد الكذب والنسيان وورد عليهم بلا ريب بل حتى التواطؤ على اقتسام الرئاسة، واختلافهم في روايات الأناجيل مبطل للاحتجاج بها بالكلية (الجاحظ، 2019، ص 43). وهنا نجد الجاحظ نصب مقدمة هي أن النصارى يقولون أن المسيح إله لكونه مولودا من غير أب ثم ينصب بعد ذلك مقدمة أخرى هي أن آدم عليه السلام وجد من غير أب وأم فتصير النتيجة بحكم العقل أن آدم أولى بالألوهية من المسيح عليه السلام.

كما أثار الجاحظ مسألة هامة تتمثل في تساؤلات عميقة تطرح حول حقيقة شخصية لوقا كاتب الإنجيل الثالث الذي تنصر بأيام معدودات قبل ذلك مما يثير نوازع الريب في النفوس منه لهذا الاعتبار ولاعتبار آخر هو كونه لم يكن مقدما من تلاميذ المسيح فقد كان هناك من هو أولى منه بالتقديم (الجاحظ، 2019، ص 44).

لم نجد من الباحثين من تناول هذه الشخصية بالبحث والدراسة فريما قد تكون مادة لبحث مستقل مستقبلا.

منهج الجاحظ في نقد النصرانية من خلال كتابه "رسالة في الرد على النصارى"

هذه النقاط التي أثارها والنتائج التي وصل إليها تعتبر من أهم ما وصل إليه علم النقد النصي والبحث اللاهوتي المعاصر كما ذهب إليه "ريتشارد سمسون" فالآباء الكنسيون لم يتمكنوا من الاعتماد على النصوص الأصلية لإثبات صحة العهد الجديد، والترجمات كانت هي الحل الوحيد لأنها أصبحت بمثابة الأصل عندهم، وهو ما أثار جدلاً واسعاً بين ترتليان ومارسيون من جهة وأوغسطين وفوست من جهة أخرى، وهذا ما يدل على صحة وقوة ما ذهب إليه الجاحظ في رسالته (الكلام، 2009، ص189).

وعطفاً على النقطة الأولى يشير الجاحظ إلى مسألة أخرى عند نقده للأناجيل تتمثل في اضطراب متونها لما وجد من اختلاف وتضاد في عباراتها ومعانيها، وهو ما أشار إليه الدكتور سامي عامري نقلاً عن مارفن فنسنت الذي رجح أن نصوص العديد من الآباء حالتها غير جيدة (عامري، 2017، ص160)، غير أننا لم الجاحظ ساق أمثلة عن ذلك عنها والسبب بحسب تقديرنا يرجع إلى عدة احتمالات:

الاحتمال الأول: عدم ذكرها أصلاً من ومؤلف وهذا في تقديري الشخصي أمر مستبعد لأن الغرض من الرسالة دحض شبه النصارى والجاحظ في معرض تفنيده لهذه الشبه تعرض لنقائص الدقائق اللغوية في بيان وجوه الخطأ فيما ادعوه مستدلاً في ذلك بالشواهد الشعرية من كلام العرب وكلام أهل البلاغة فلا يستقيم أن يذكر دقائق مسائل اللغة في الذود عن القرآن ويغفل تفصيل ما أخذه على كتب النصارى من المآخذ، خاصة وهو في معرض الرد عليهم، وقد كان من عادة المتكلمين في دحض ما يورده أهل الكتاب من شبهات تفنيدها ثم إيراد السؤالات والمآخذ من جنس ما فعله الإمام القرافي في "الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة".

الاحتمال الثاني: أنها ربما وردت ولكنها سقطت من أصل الكتاب الذي انتخبت منه نصوص الرسالة فقد ذهب الدكتور إبراهيم عوض إلى أن هذه الرسالة منتخبة من كتاب للجاحظ في الرد على النصارى انتقاها أديب غير مشهور إسمه عبيد الله بن حسان كما أن القاضي عبد الجبار ذكر للجاحظ رسالتين في الرد على النصارى هما الرسالة العسلية وهذه الرسالة التي هي محل الدراسة فهل هما رسالتان متغيرتان أم هما رسالة واحدة؟ لا يمكننا الجزم بذلك لأن الرسالة العسلية مفقودة (عوض، دون سنة، ص5).

ومما يدعم هذا الرأي في تقديري أن الجاحظ ذكر مسألة مهمة في الرسالة وهي أن النصارى ادّعوا أن القرآن نسب إليهم ما لم يقولوا به و هو عبادة مريم عليها السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (القرآن الكريم، المائدة، الآية 116). ولكن الجاحظ لم يعلق عليها على غرار ما فعل في الشبه الأخرى التي كشف غوامضها وحل عقدها وهذا مما يرجح هذا الرأي عندي كذلك.

يوصل بعد ذلك الكاتب رسالته متوجها في الفصل الرابع لتفكيك شبهة تجويز اتخاذ الله إينا قياسا على إثبات القرآن الخليل الله عز وجل على اعتبار أن البنوة هنا مجازية القصد منها التخصيص بالمودة والرحمة لا على جهة الولادة واتخاذ الصاحبة، وهنا نرى أن الجاحظ قد عرض معتقد النصارى بأمانة على أكمل صورة اعتقادهم، ثم أشار بعد ذلك إلى مسألة خطيرة وهي أن أهل الكتاب اليهود و النصارى إنما وقعوا في الانحراف العقدي بسبب مسألة دقيقة خطيرة جعلتهم يصفون الله عز وجل بما لا يجوز في حقه وينسبون إليه ما لا يليق مثل البنوة و ذلك بسبب "جهلهم مجازات الكلام وتصارييف اللغات ونقل لغة إلى لغة" وكذلك "أنوا من قلة المعرفة بوجوه الكلام ومن سوء الترجمة"(الجاحظ، 2019، ص49).

ثم صار المؤلف بعد ذلك إلى محاكمة عقلية لفكرة بنوة المسيح عليه السلام مستعملا قاعدة عقلية مقتضاها أن كل قول ينبنى عليه قول فاسد فهو مثله في الحكم، وقد نزل هذه القاعدة على مسألة تجويز فكرة البنوة لله عز وجل سواء من جهة الولد أو التبني التي قال عنها أنها جهل عظيم لكون تجويز هذه الفكرة موجب لفكرة فاسدة وهي كون الله عز وجل جدًا، فلو كان أبا ليعقوب لكان جدًا ليوسف وهذا يتنافى مع عظمة الله عز وجل لأن نسبة الولد إليه يتنافى مع وصف الله عز وجل بالغنى لأنه من جازت عليه الحاجة واللذة والمنفعة فلا بد أن يكون جسما تجوز عليه الزيادة والنقصان والله عز وجل منزّه عن الجسمية لأنها من لوازم المخلوق المحدث(الجاحظ، 2019، ص47)

بعد تقرير هذه القاعدة والخلوص إلى هذه النتيجة وصل الجاحظ بالخصم لإلزام آخر يلزمه به ويلزم منه بطلان عقيدته وهو أن المولى عز وجل حال رفعه لعبده وإكرامه له فهو

إما أن يفعل ذلك بإهانة نفسه أو أن يفعل ذلك مع العظمة والبهاء فإن فعل ذلك مع نقص و إهانة نفسه فهذا عجز (الجاحظ، 2019، ص47)، وهو منفي عن الله عز وجل لأن الفعل في الشاهد لا يصح إلا من قادر وقد صح الفعل من الله عز وجل فوجب كون الله قادرا (القاضي، 1998، ص72) وإثبات البنوة لله عز وجل على سبيل رفع غيره بإنقاص قدره عجز، كما أن إثباتها مع قدرته حط من قدره وهذا جهل والجهل محال في حق الله عز وجل (الجاحظ، 2019، ص47) لكون أفعال الله محكمة والأفعال المحكمة لا تصح إلا لعالم (القاضي عبد الجبار، 1998، ص72).

3. منهج الجاحظ في الرد على القول بالوهية المسيح

1.3 منهج الجاحظ في نقض شبهة ألوهية المسيح لميلاده المعجز في القرآن

عقد الجاحظ في هذين الفصلين مقارنة بين نبي الله آدم ونبي الله عيسى عليهما السلام إذ ألزم النصارى بالقول ببنوة آدم عليه سلام الله عز وجل: *فإن كان المسيح إنما صار إبناً لله عز وجل لأن الله خلقه من غير نكر فأدم وحواء إذ كانا من غير نكر وأنثى أحق بذلك إن كانت العلة في اتخاذها ولداً أن خلقه من غير نكر* (القاضي عبد الجبار، 1998، ص72)، ومستند النصارى في إثبات بنوة المسيح لله عز وجل نصوص من العهدين القديم والجديد: منها *"وها إن العذراء تحبل فتلد إبناً يسمونه عمانوئيل"* (الكتاب المقدس، متى، 01: 23، 1988). *فأجابها الملاك إن الروح القدس سينزل عليك وقدره العلي تظلك لذلك يكون المولود قدوساً وابن الله يدعى"* (الكتاب المقدس - لوقا الإصحاح 01: 35، 1988).

هنا نرى الجاحظ يحاكم هذه الشبهة إلى قاعدة عقلية تبطل بها الشبهة من أصلها وهي القياس وقد عرفه أبو هاشم بأنه *"حمل الشيء على غيره وإجراء حكمه عليه"* أو هو *"حمل الشيء على الشيء في بعض أحكامه لضرب من الشبه"* (المعتزلي، 1964، ص697). فلئن كان وصف البنوة ثابت عندهم للمسيح لكون ميلاده من غير نكر معجزة دالة على ألوهيته فهذا الوصف يثبت من باب أولى لآدم وحواء عليهما السلام لكونهما من

غير ذكر ولا أنثى والنصارى لا تثبت لهما وصف الألوهية فدل هذا على التناقض وكان سبيلا ماضيا إلى سقوط دعواهم.

على هذا النسق يجري استدلاله في الفصل السادس من رسالته بقوله إن آدم عليه السلام بالتكريم الرباني والتشريف الإلهي - مما لم يثبت لنبي غيره - أولى بوصف الألوهية من عيسى عليه السلام لكون " الأعجوبة في آدم أبدع وتربيته أكرم ومنقلبه أعلى وأشرف إذ كانت السماء داره والجنة منزله والملائكة خدامه" (الجاحظ، 2019، ص58).

2.3 مناقشة صحة ما نسبته القرآن لليهود والنصارى

تطرق في الفصل السابع لنقطة أساسية لأجل الرد على ادعاء النصارى أن المسلمين "يقولون على الناس ما لا يعرفونه ولا يجوز لهم أن يدينوا به وهو قولنا: إن اليهود قالت إن الله تعالى فقير ونحن أغنياء وإنها قالت يد الله مغلولة، وإنها قالت: إن عزيزا ابن الله وهم مع اختلافهم وكثرة عددهم ينكرون ذلك ويأبونه أشد الإباء" (الجاحظ، 2019، ص59) وهذا من أجل إثبات أن القرآن كذب في الإخبار عن بعض الغيبات.

أثار النصارى هذه الشبهة من أجل تثبيت دعواهم أن المسلمين لا يعتمدون منهجية علمية في دحض دعوى خصومهم وهذا ما ثبت عكسه لأن ما ذكره القرآن وما أيده الجاحظ أيدته الأدلة التاريخية وأثبتته الأبحاث العلمية الرصينة.

دلل الجاحظ على صحة كلامه بقوله إن اليهود كانت تطعن في القرآن الكريم فلما سمعت قول الله عز وجل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القرآن الكريم، البقرة، الآية 281) ذهبت للطعن في القرآن فقالت إن الله فقير وأنهم أغنياء لاعلى وجه التنقص من ذات الله وإنما على وجه الطعن في القرن الكريم وهذا من المجاز (الجاحظ، 2019، ص 59-60). قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَلَاقِيَانَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القرآن الكريم، المائدة، الآية 64). ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾. ولا يقصد من يتكلم به

منهج الجاحظ في نقد النصرانية من خلال كتابه "رسالة في الرد على النصارى"

إثبات يد ولا غل ولا بسط، ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازاً عنه لأنهما كلامان متعقبان على حقيقة واحدة، حتى أنه يستعمله في ملك لا يعطى عطاء قط ولا يمنعه إلا بإشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها، ولو أعطى الأقطع إلى المنكب عطاء جزيلاً لقالوا: ما أبسط يده بالنوال، (الزمخشري، دون سنة، ص265)، وقد استعمل الجاحظ هنا دلالة اللغة لتفنيد مزاعمهم فأشار إلى أن المعنى في هذه الآية مجازي فكأن اليهود وصفوا الله بالفقر حين أنكروا دلالة الآية القرآنية وما ذلك إلا لضعف إدراكهم للغة العربية وضعف فهمهم للقرآن الكريم وقد أشار الجاحظ إلى هذا الجانب في اليهود من رسالته حينما قال: "وقد تعلم أن مفسري كتابنا وأصحاب التأويل منا أحسن معرفة وأعلم بوجوه الكلام ومتأولي الكتب، ونحن قد نجد في تفسيرهم ما لا يجوز على الله في صفته و لا عند المتكلمين في مقاييسهم ولا عند النحويين في عربيته، فما ظنك باليهود مع غباوتهم وغيهم وقلة نظرهم وتقليدهم" (الجاحظ، 2019، ص51).

كما أشار الجاحظ لمسألة مهمة هي إنكارهم أن اليهود قالوا إن عزيز بن الله، قال الجاحظ في هذا إن اليهود يذهبون في هذا القول إلى فريقين، أحدهما عام والآخر خاص، فأما خاصتهم لما رأوا ما فعله عزيز من إعادة كتابة التوراة بعد ضياعها من تلقاء نفسه بعد دروسها وشتات أمرها غلوا فيه (الجاحظ، 2019، ص62)، والمقصود هنا قول الله عز وجل من سورة التوبة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية30). والمقصودون في الآية ليسوا كل اليهود بل فرقة من اليهود على ما ذهب إليه أهل التفسير، قال الزمخشري في الكشاف: "وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم" (الزمخشري، دون سنة، ص33).

استعمل الجاحظ هنا المنهج التاريخي ويبدو ذلك في تقديره في نقله لبعض ما جاء في بعض المصادر التاريخية التي يمكن تقدير وجودها في زمنه غير أنها لم تصلنا فإن بعض المصادر الحديثة تؤكد في مضمونها ما ذهب إليه الجاحظ فقد ذكرت أن تشتت الجماعات اليهودية في الأرض جعل بعضها مجهولاً عند باقي الطوائف اليهودية الأخرى و ذلك لبعد الأصقاع وقلة الاتصال وصعوبته، فهناك الكثير من المراجع العبرية ذكرت عن

حياة اليهود في العراق و الشام واليونان وغيرها بينما لا نكاد نجد أثرا للحديث عن الجماعات اليهودية في جزيرة العرب مما يدل على أن تلك الجماعات كانت تحيا منقطعة تماما عن أبناء جنسها في باقي العالم (ولفنسون، 1937، ص ص11-12) وهذا فيه قرينة أن اليهود و النصرى من باب أولى لم يكونوا يعرفون كل عقائد الطوائف اليهودية، كما يشير الدكتور جوناثان براون إلى قضية مهمة أخرى وهي أن بعض يهود الجزيرة يحتمل أنهم كانوا يعبدون الملائكة و أن عزرا وأخنوخ قد صارا ملاكين وأن أخنوخ صار بمرتبة إله أصغر عند اليهود (مقال بعنوان: الرد باختصار على شبهة أين قالت اليهود عزيز بن الله . شبكة منتديات أتباع المرسلين) على ما ذهب إليه بعض الباحثين.

3.3 تصحيح الجاحظ وبيانه لمفهوم "الكلمة" في آية سورة النساء

وجه الجاحظ في الفصل الثامن من رسالته إلى الجواب على شبهة كثيرا ما تثار ضد القرآن الكريم من شبهات لأجل إثبات ألوهية المسيح عليه السلام وهي شبهة نابعة من سوء فهم لقول الله عز وجل في سورة النساء: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلٌ﴾ (القرآن الكريم، سورة النساء، الآية 171). ومثار الشبهة كما أورده الجاحظ في رسالته هو سوء فهمهم للآية كذلك سوء فهمهم للنسخ في السيدة مريم عليها السلام مع كون المسيح عليه السلام قد ولد من غير أب وكونه كان يخلق من الطين كهيئة الطير (الجاحظ، 2019، ص 63).

مثار الغلط في هذه المسألة كما قال الجاحظ هو عدم فهم النص القرآني في سياقه اللغوي فقله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾. قال الزمخشري رحمه الله: "وقيل لعيسى كلمة الله وكلمة منه لأنه وجد بكلمته وأمره لا غير، من غير واسطة أب ولا نطفة، وقيل له روح الله وروح منه لذلك، لأنه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح، كالنطفة المنفصلة من الأب الحي وإنما اخترع اختراعا من عند الله وقدرته خالصة" (الزمخشري، دون سنة، ص 181).

استعمل الجاحظ في معرض كشف شبهتهم دلالة الإلزام التي بمقتضاها يتوجب عليهم اعتقاد ما لا يعتقدونه، فلو كان إثبات الألوهية للمسيح عليه السلام على اعتبار أنه "روح الله و كلمته" (الجاحظ، 2019، ص69)، لكان هذا ثابتاً لجبريل كذلك لأن الله سماه في القرآن روح الله وروح القدس فيلزم من هذا إثبات ألوهية روح القدس وهذا ما لا نلتزمه في ديننا ولو كان نفخ الله عز وجل من روحه موجبا لكون المسيح إلها لكان بذلك آدم عليه السلام أولى بذلك آدم عليه السلام لقول الله عز وجل : قَالِدًا سَوِّئُهُ وَتَفَحَّتْ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَفَعُولُ لَهُ سَاحِدِينَ" (القرآن الكريم، سورة الحجر، الآية 29).

علل الجاحظ سبب نسبة الروح من الله التي نفخها في المسيح عليه السلام وسمى بها جبريل عليه السلام لنفسه لشرفها لا على أنها جزء من ذاته تعالى الله عن ذلك، ومثال ذلك مما جاء في القرآن: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الجاحظ، 2019، ص64). وقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ (القرآن الكريم، سورة القدر، الآية 4).

سمى الله عز وجل القرآن روحا لأنه يقيم للناس مصالحهم فكما كان عيسى عليه السلام سببا للهداية فسماه الله روحا كذلك سمي الله القرآن روحا لأنه به صلاح الناس في معادهم ومعاشهم (الجاحظ، 2019، ص65).

الملاحظ أنه في هذا الموضوع من الرسالة نجد الكاتب استعمل دلالة الإلزام على ما دأب عليه في مواضع كثيرة من رسالته.

يختم الجاحظ الفصل التاسع من رسالته برودده ونقده بجملة من الأسئلة التي تعتبر بمثابة الرد على شبهاتهم بطريقة غير مباشرة وذلك بإثارة بعض الإشكالات العقدية حول طبيعة المسيح عليه السلام مستعملا في ذلك أسلوب الإلزام من خلال طرح ثلاثة أسئلة جوهرية حول طبيعة المسيح عليه السلام التي وضعهم فيها أمام ثلاثة احتمالات جوهرية ثم بعد ذلك يستقصي الجواب على ما يعتقدونه ليفند بعد ذلك أيضا ما يذهبون إليه من دعاوى، وقد أقام هذه الإشكاليات على ثلاثة احتمالات (الجاحظ، 2019):

1. أن يكون المسيح إنسانا بلا إله.

2. أن يكون المسيح إلها بلا إنسانا.

3. أن يكون إلها وإنسانا.

فعلى القول بكونه إلها بلا إنسان فإن عوارض الإنسانية ولوازم الجسمية من التغير والعدم بعد الوجود وهو من علامات الحدوث المنافي لصفات الألوهية وكذلك طروء صفات البشرية عليه ناقض لهذه المقالة، وأما إذا ذهبوا لكون اللاهوت حل في ذات المسيح وفي غيره فهذا يستوجب عدم اختصاص المسيح بالألوهية على خلاف ما لو كان حلول اللاهوت في المسيح وحده فهذا موجب لتجسيم اللاهوت وهو من المستثنيات التي لا تتواءم وتنزيه الإله عن النقص، وهم حال قولهم أن المسيح إله وإنسان فهذا من الأقوال المتناقضة التي لا تستقيم عقلا، و القول الثالث بكونه إنسانا هو ما يتقبله العقل وقضت به نصوص الكتاب المقدس في الكثير من المواضع .

الخاتمة:

يتبين لنا من خلال كل ما سبق أن الجاحظ قد انتهج في رسالته منهجا يقوم في نقد النصرانية على أسس هي:

1. النقد العقلي والمنطقي مستعملا قاعدة الإلزامات العقلية التي تتبني على المعتقدات التي يؤمن بها النصارى.

2. إثارة المسائل المتعلقة بنقد نص الكتاب المقدس من حيث المتن ومن حيث السند والمسائل المتعلقة بكتابة الأناجيل.

3. طرح تساؤلات لاهوتية عميقة لبيان اختلال عقائدهم.

من هنا نرى أن جهود الجاحظ في نقد الأديان والنصرانية خاصة قد انطلقت من جملة الأصول التي يؤمن بها المعتزلة، فالتوحيد القائم على نفي الصفات ومفهوم المعرفة وطريقة تلقي الأخبار بالمنهج المعتزلي خاصة والإسلامي كانا حاضرين بجلاء في رسالة الجاحظ مما جعل منهجه عميقا في نقده أصيلا في طرحه.

بناء على ما درسناه نرى أن رسالة الجاحظ تكتسي أهمية كبرى في مجال نقد الأديان لذلك نرى أن تكون هناك دراسات معمقة لمحتوى الرسالة بناء على المعطيات الجديدة لتاريخ الأديان وعلم النقد النصي وعلم تاريخ الكتاب المقدس وعلم اللاهوت المقارن مع ربط ذلك بما أشار إليه القرآن من مراحل تطور العقيدة النصرانية.

منهج الجاحظ في نقد النصرانية من خلال كتابه "رسالة في الرد على النصارى"

قائمة المصادر والمراجع

- ❖ القرآن الكريم
- ❖ الكتاب المقدس، الطبعة الثالثة 1988، دار المشرق، بيروت، لبنان
- الأسدي القاضي عبد الجبار بن أحمد، الأصول الخمسة، تحقيق الدكتور فيصل بدير عون، الطبعة الأولى 1998، الكويت، مطبوعات جامعة الكويت ص72.
- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، ثلاث رسائل للجاحظ: في الرد على النصارى - أخلاق الكتاب - القيان، تحقيق يوشع فنكل، (بيروت - لبنان: دار الوراق، 2019)
- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، ما لم ينشر من تراث الجاحظ: الرد على المشبهة المسائل والجوابات في المعرفة، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن.
- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق خيرى سعيد، (القاهرة - مصر: المكتبة التوفيقية)
- الرومي ياقوت الحموي، معجم الأديباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق الدكتور إحسان عباس، (دار الغرب الإسلامي، 1993)
- الزبيدي أحمد بن يحيى المرتضى، طبقات المعتزلة، تحقيق محمد كامل عويضة، (القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، 1443هـ/2022م)
- الزمخشري جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، تحقيق الشيخ عادل عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض وشارك في تحقيقه الأستاذ الدكتور فتحي عبد الرحمن حجازي، (مكتبة العبيكان)
- السندوبي حسن، أدب الجاحظ، (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، 1350هـ/1931م)
- الغانمي سعيد، معمار الفكر المعتزلي قراءة في تاريخ الاعتزال من تفتحه حتى انطفائه، (بيروت - لبنان، بغداد - العراق: دار الرافدين، 2021)
- الكتاب المقدس، الطبعة الثالثة، (بيروت - لبنان: دار المشرق، 1988)
- الكلام يوسف، تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقدس: دراسة في التاريخ النقدي للكتاب المقدس.
- المعتزلي أبي الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري، المعتمد في أصول الفقه، تهذيب وتحقيق محمد حميد الله بالتعاون مع محمد بكر وحسن حنفي، (دمشق: المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، 1384هـ/1964م)
- الوردى علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، (قم - إيران: مطبعة أمير، دار انتشارات الشريف الرضي، 1379-1413هـ)
- عامري سامي، استعادة النص الأصلي للإنجيل، (الرياض - المملكة العربية السعودية: مركز الفكر العربي، 2017)
- عوض إبراهيم، مع الجاحظ في رسالة الرد على النصارى، (القاهرة: مكتبة زهراء الشرق)
- ولفسون إسرائيل، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصادر الإسلام، 1345هـ/1937م، مصر مطبعة الاعتماد.